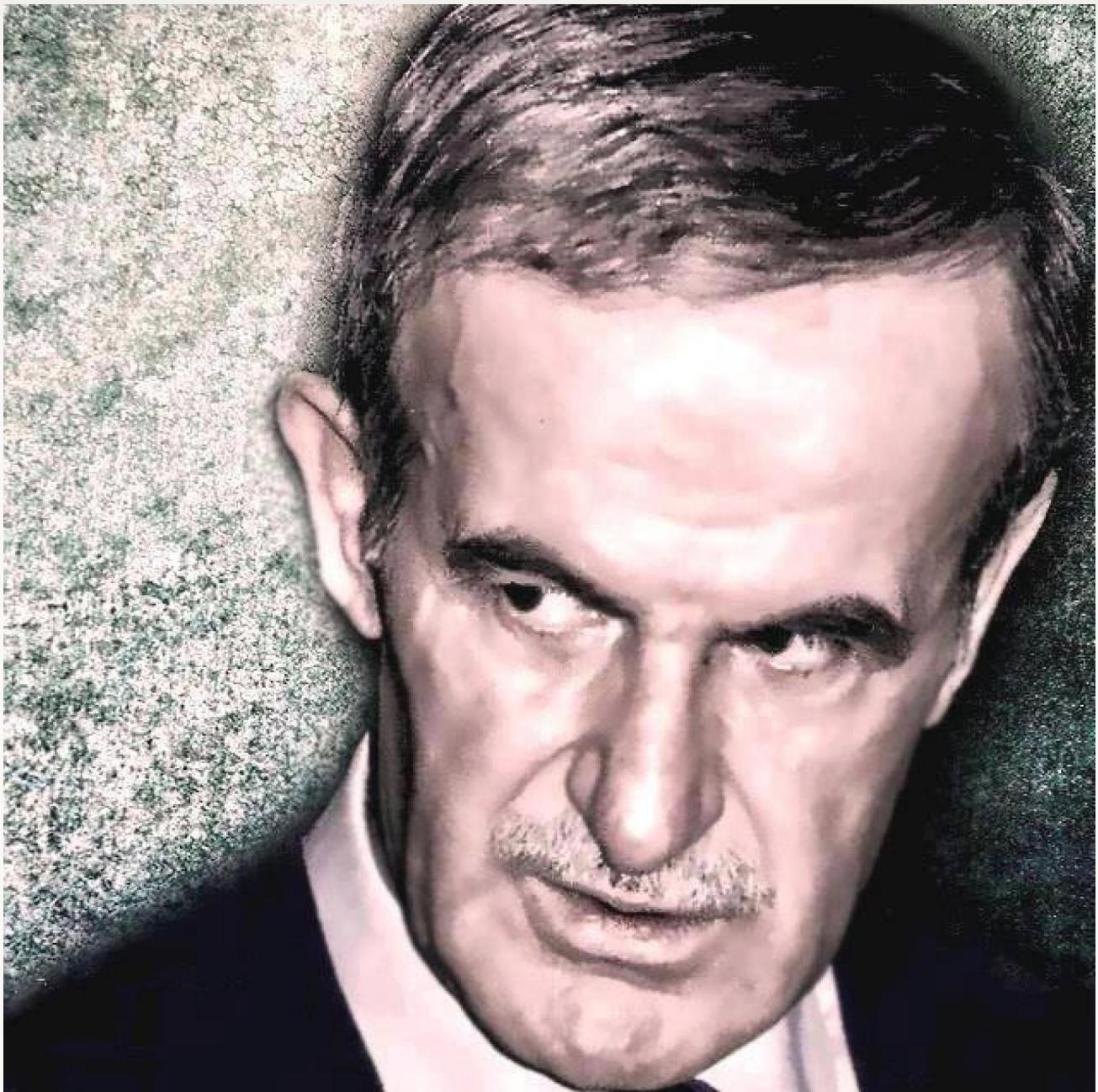


كيف وصل حافظ الأسد إلى السلطة وانقلب على رفاق دربه؟

الكاتب : أحمد أرسلان

التاريخ : 30 مارس 2017 م

المشاهدات : 7236



وصل حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في سوريا عبر انقلاب عسكري في الثامن من آذار لعام 1963م، بقيادة لجنة عسكرية خمسية أغلبها ضباط نميرية، وسرّج بعدها مالا يقل عن 700 ضابط من كبار ضباط أهل السنة، وملأ الفراغ بضباط من الأقليات وخاصة الطائفة النميرية.

ثم تلاه انقلاب عام 1966م، حيث أطيح برئيس الدولة السنّي "أمين الحافظ" وأبعد معارضو "صلاح جديد" من قاوموا تحكم الأقليات وتسلطهم، وتم الإجهاز على القيادة القومية للحزب، وأسفر الانقلاب عن تصفية ضباط أهل السنة البارزين، وعن ازيد من تمثيل الأقليات الدينية مرة أخرى.

وعُين حافظ الأسد وزيرًا للدفاع، وجرى على قدم وساق تصفية أهل السنة من أركان الدولة، حتى من ساندوا حزب البعث من خدع بالشعارات القومية للحزب.

وفي عام 1967 م اندلعت حرب بين الكيان الصهيوني ودول الطوق (مصر - الأردن - سوريا) واستطاعت الصهاينة في هذه الحرب احتلال غزة وسيناء والقدس والضفة الغربية والجولان، وكانت مشاركة الجيش السوري خلال هذه الحرب خجولة في مساندة مصر والأردن، حتى قيل إن هذا كان من أسباب النكبة والخسائر الكبيرة في العتاد والأرواح إضافة للمناطق الجديدة التي سلبتها إسرائيل، كما أذاع وزير الدفاع (حافظ الأسد) خبر سقوط القنيطرة قبل ثلاثة ساعات من حصوله.

ثم بدأت الخلافات تظهر بين شركاء الإنقلاب صلاح جديد (الأمين القطري المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي) وحافظ الأسد (وزير الدفاع)، ووصلت إلى ذروتها عندما رفض حافظ الأسد المساندة الجوية للقوات السورية التي تدخلت في الأردن لصالح منظمة التحرير الفلسطينية في حربها مع المملكة الأردنية فيما يعرف بأحداث أيلول الأسود، ما أدى لفشل مهمة القوات السورية، فدعا صلاح جديد إلى مؤتمر طارئ للقيادة القومية في 30 تشرين الأول لمحاسبة وزير الدفاع حافظ الأسد، وأصدر المؤتمر قراره الشهير بضرورة إعفاء حافظ الأسد من منصب وزير الدفاع، فسارع حافظ الأسد بأوامره للجيش باحتلال كافة فروع الحزب، بمساعدة مصطفى طلاس - رئيس الأركان - ورفعت الأسد - شقيق حافظ - الذي كان يرأس قوى الأمن.

واعتُقل صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي "السني" في 13/10/1970 م، وفر كثيرون من أعضاء المؤتمر إلى لبنان تفاديًّا للاعتقال. وبقي اللواء صلاح جديد في سجن المزة حتى وفاته في 19 / آب / 1993 م، أما نور الدين الأتاسي فقد أطلق سراحه بعد أكثر من عشرين عاماً، قضىها في السجن، وتوفي بعدها بقليل. ولقي العديد من زملاء الكفاح لحافظ الأسد من البعثيين - المدنيين والعسكريين - المعارضين له المصير نفسه. 7

وعين أحمد الحسن الخطيب "السني" رئيساً للجمهورية مؤقتاً، ثم جرى استفتاء شعبي شكلي في 22 آذار / مارس 1971 على قائد الانقلاب والذي سمي زوراً (الحركة التصحيحية)، وزعمت وسائل الإعلام الحكومية مشاركة 95% من الشعب في العملية الاستفتائية التي فاز فيها حافظ الأسد (بأكثرية ساحقة) ووصلت إلى 99.2%. ليصبح أول رئيس نصيري لسوريا ولمدة سبع سنوات، تلتها استفتاءات مشابهة في أعوام 1978 و 1985 و 1992 و 1999.

الدولة التي صنعتها حافظ الأسد لنفسه :

عيّن حافظ الأسد عام 1973 م لجنة لصياغة الدستور، وأقرَّ في 12 مارس/آذار بإستفتاءٍ شعبيٍّ يشبه استفتاء تسلمه السلطة عام 1971 م.

نصّ الدستور على وجوب كون الرئيس " عربياً سورياً" ، ونصّب حزب البعث قائداً للدولة والمجتمع محتكراً بذلك الحياة السياسية. أما رئيس الجمهورية فترشحه القيادة القطرية لحزب البعث عن طريق مجلس الشعب للاستفتاء دون وجود أي مرشح آخر، وأعطاه الدستور صلاحيات شبه مطلقة، فهو رئيس السلطة التنفيذية وله سلطة إصدار التشريع منفرداً أو حجب تمرير تشريع أقره البرلمان، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء والمعين للمحكمة الدستورية العليا والقائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، وسواها من الصلاحيات كتعيين الموظفين المدنيين والعسكريين واستفتاء الشعب في قضايا تُعد مقررة حتى لو كانت مخالفة للدستور، فضلاً عن كونه منتخباً لمدة سبع سنوات مفتوحة الإعادة والتكرار. كما عدّ الدستور الاقتصاد السوري اشتراكياً يقوم على القطاع العام بشكل أساسي.

احتوى الدستور - شكلياً - على قوانين للحربيات والحقوق، بقيت معطلة بسبب القوانين البعثية الفوق دستورية:

- قانون الطوارئ لعام 1963 والذي يحظر التظاهر ويتيح الاعتقال التعسفي والتنصت رغم أنها جمِيعاً حقوق دستورية.

- قانون حماية الثورة الذي صدر بالمرسوم التشريعي رقم 6 لعام 1965 .
- قانون المحاكمات العسكرية رقم 109 لعام 1968 ، والذي شرع تقديم المدنيين للمحاكمات العسكرية.
- قانون إحداث محاكم أمن الدولة الذي صدر بالمرسوم التشريعي رقم 47 لعام 1968 .
- قانون إعدام كل منتنسب أو ينتمي للإخوان المسلمين رقم 49 لعام 1980 على خلفية أحداث الثمانينات.

وهذا الدستور يعد الأسوأ على مدى تاريخ سوريا، إلا أنه كان الأطول، فقد استمر 39 عاماً، وعدل مرتين فقط، كانت الأولى عام 1981 م لتغيير العلم، والثانية عام 2000م لتعديل عمر رئيس الجمهورية من 40 سنة إلى 34 سنة ليتيح لبشار الأسد خلافة والده في السلطة.

أما الشعب السوري وحقوقه فلم يعر لها النظام الحاكم أي اهتمام، ولم يلغ الأحكام العرفية طوال هذه العقود، بل لم يُجرأ أي تعديل بسيط ليحسن من واقع حرياتهم وحقوقهم.

مجلة نور الشام

المصادر: